القراءة وجدلية المعرفة الرقمية

في حين يعتقد بعض اليافعين الذين تفتحت أعينهم على الحياة في العصر الرقمي وسيطرة الإنترنت على مناحيها أنهم يقرؤون حين يمررون أعينهم على الشاشات التي بين أيديهم، فإن ما يفعلونه لا يعدو كونه قراءة سطحية.

هذه الجملة هي جزء من عدة أفكار وردت في بيان أصدره عدد من العلماء والمكتبات وجمعيات النشر العالمية، الذين اجتمعوا في عاصمة سلوفينيا ليوبليانا (10 أكتوبر 2023)، وسُمّي "بيان ليوبليانا للقراءة".

وقد حذر البيان من تعرض "القراءة عالية المستوى" للخطر على نحو متزايد، رغم الإغراءات التي يقدمها العالم الرقمي، وتعدد خيارات القراءة فيه. ويقصد البيان بالقراءة عالية المستوى القراءة المعمقة وقراءة الكتب ذات الصفحات الكثيفة والأفكار العميقة.

وأشار إلى انخفاض القراءة الطويلة والمتأنية والنقدية، وتزايد ما يمكن تسميته بالنظرة الخاطفة على النصوص، وتمرير الصفحات بسرعة. وتحدث عن أن فقدان مهارة القراءة يؤدي إلى فقدان مهارة التفكير، ويعيد القراءة في عالمنا إلى قراءة نخبوية، كما كانت عندما اخترع البشر الكتابة.

ويعد هذا البيان مهمًّا للغاية؛ لأهمية الجهات المشاركة فيه، وهي: جمعية الناشرين الدوليين، والأكاديمية الألمانية للغة والأدب، واتحاد الناشرين الأوروبيين، وتحالف منظمات تحفيز القراءة الأوروبي (READ-EU)، والاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات، ومؤسسة (PEN) الدولية، والمجلس الدولي لكتب الشباب (IBBY)، ووكالة الكتاب السلوفيني.

ومن النقاط المهمة التي أشار إليها البيان إيجابيات القراءة عالية المستوى، ومن بينها أنها تدرب على ما يسمى الصبر الذهني، وتوسع القدرة على الفهم والإدراك، كما تنمي القدرة على التعاطف مع الآخرين، إضافة إلى أنها أداة مهمة للتفكير والتحليل الاستراتيجي، ومن دونها سوف يتعرَّض الناس لما يسمى التبسيط الشعبوي ونظريات المؤامرة والمعلومات المضللة، ويصبح الناس حينها عرضة للتلاعب. وأشار البيان إلى أن "القراءة عالية المستوى كانت دائمًا ضرورية لنمو الحضارات، وساهمت إلى حد

بعيد في التنوير والديمقراطية عالميًّا".

وقال أحد الأربعة الذين شاركوا في كتابة البيان، ميها كوفاك، إن الناس لا يستطيعون فهم تعقيدات مشكلات زمننا إذا لم يستطيعوا أن يقرؤوا الكتب المعقدة. وحذرت آن بيرمان، رئيسة اتحاد الناشرين الأوروبيين، من أن ربع الأوروبيين لا يستطيعون قراءة النصوص الطويلة.

وختاما فخلاصة الكلام: إذا كان هذا هو حال الأوروبيين الذي يحتلون مكانة متقدمة بين أمم العالم في القراءة، فكيف بشعوب العالم الثالث؟ وهو ما يجب أن يدفعنا لإعادة النظر في بعض جوانب المناهج الدراسية ومستويات القراءة الحرة في المجتمعات العربية وانعكاس ذلك كله على ترتيبها في سلم الأمم المعاصرة.

* لا تكن قارئا متعاليا على ما تقرأ، ولا حتى قارئا مثاليا يعيش طوباويّة الفكرة.. كن فقط قارئًا طفلًا يتجول في شوارع المعرفة ويدخل في حوانيت الدهشة ويقتني ما شاء من تُحف الأفكار والمعاني. الشاعر جاسم الصحيح